الشاعر الجميل و" أميرة الحُـب "

عبدالله محمد بوخمسين

نعم هي كلمات الحب التي تتفجر من ديوان " أميرة الحب " مقرونة بالشمس والقمر والنجوم والغيوم والفجر والإشراق. لم تكن " أميرة الحب" رسالته الأولى بل سبقتها رسائل حب أخرى شبيهة كـ " إلى حبيبتي الاحساء" و " واحة من الحب " هكذا هو شاعرنا يعنون دواوينه بالحب موزعا قبلاته ومشاعره بين أحبته وأوطانه. ومن منا لم يتغنى بموطنه سيما إذا كان هذا الموطن كالأحساء، هذه الواحة الغناء الغنية بنخيلها وأشجارها وعيونها، كما هي غنية بشعرائها وأدباءها ورجالها.

قراءتنا هذه المرة ستكون لديوان " أميرة الحب " للشاعر الجميل ذو القامة الفارهة والقوام الممشوق والقد المنتصب، شاعر الحب الأستاذ عبدالله محمد بوخمسين.

إن اي قارئ لديوان " أميرة الحب " أول ما يلحظ كلمات الحب المتناثرة بين قصائد الديوان التي حملتها أجنحة أشعة الشمس ونور القمر، والنجوم والغيوم والسحاب والأثير والرياح إلى قارئها، والتي هي في الواقع علاج للهموم والاكتئاب النفسي. إضافة إلى ذلك الغزل العذري تارة والصارخ تارة أخرى، والخمرة المباحة خمرة العشق والذوبان في المحبوب الممزوجة باللمى وريق المحبوب. فكم من شاربٍ ومحتسٍ لها جن كمجنون العامرية ليلي " قيس بن الملوح " ومجنون لبنى " قيس بن ذريح " ومجنون عبلة " عنترة بن شداد" و مجنون جوليت " روميو ". إن الترنم بالغزل الصارخ ليس دليلا على سواد القلب وفساده وخبثه، بل ربما دليل على بياض القلب وحسن السريرة، وكم رأينا غزلا صارخا لشعراء كبار تشهد لهم الساحة بالصلاح والتقى.

أنا لست ناقدا ولا شاعرا ولكني أحببت الشعر صغيرا وشاب في حبه صدغاي كبيرا وصار فيه ولهي وشوقي وصبابتي، كما الوسنان اسكره الشراب، فأحببت بتجوالي في دوحة " أميرة الحب " أن اقطف بعض الورود من هنا وهناك لعل أن يسلو بها قلب شاب عاشق ولهان وتترنم بها صبية ولهى وتميس بها غيداء عاشقة ذات صبابة.

لقد جرت عدة قراءات لهذا الديوان، لكن قراءتي ستكون من زاوية أخرى في خمسة محاور سنتطرق إليها في بحثنا هذا. ولكن قبل هذا دعوني أشير إلى شيء خلال قارئتي واحصائي لعدد كلمات الحب سواءً كانت فعلا أم اسما أم صفة، والتي لا تكاد قصيدة تخلو منها، وكذلك مفردات الطبيعة كالشمس والقمر والسحاب والمطر وغيرها جاءت بنفس العدد وهو "158 " مفردة. حقاً إنه من حسن الصدف ومثاراً للدهشة أن تأتي هذه الصور بنفس العدد، فكأن الطبيعة تقول لنا بقدر ما تحبوني، أحبكم وأعطيكم، فهل أراد شاعرنا الجميل هذا المعني أم لا، فهذا في قلب الشاعر كما يقول المثل. طبعا هناك كلمات مرادفة لكلمة الحب لم نحصيها وهي كالشوق والحنين والوله وغيرها كثير.
أيضا هناك ملاحظة أخرى لفتت انتباهي ألا وهي اشتداد وتيرة الحب والشوق في قصائد الديوان، فلو تخيلنا رسما بيانيا لها لرأيناها في قمة قوس الصعود في قصيدة " سقوط المطر " حيث تكررت "24" مرة وهي من طلائع القصائد في الديوان. بينما نرى مفردات الطبيعة جاءت في قمة قوس الصعود في قصيدة " تاه الخريف " حيث تكررت "16" مرة وهي من قصائد مؤخرة الديوان فكأنه أراد أن يفتح بالحب لتطير بها أجنحة الطبيعة في نهاية الديوان.

من يقرأ الديوان يجده مفعما بعبارات الحب مشبعا بعبارات الوجد والشوق، قد أفرغ فيه شاعرنا أرَقَّ أحاسيسه ومشاعره اللاهبة والمحرقة حتى يخيل اليك حينما يصف أميرته أنها ماثلة بين يديك بجمال روحها وجميل منظرها.

كما أننا نشير إلى أن هناك نكتاً كثيرة يمكن لكل قارء ومحلل أن يلاحظها في هذا الديوان الجميل.

وكما ذكرنا أعلاه جاءت قراءتنا في خمسةِ محاور وإلا فالمحاور كثيرة:

- المحور الأول الغزل العذري:

فمن قصيدة " لمْ تعلمي ":

ولقد مررتُ عليك نجماً ساطعاً... لم تـعـلـمي أني مـررتُ عـلـيـكِ

إني رأيـتـُك عسجـداً يا مقلتي ... والشمسُ غارتْ من سنى فوديك

مـتـشوقٌ أحـضانك كي تـدفئي ... مـن لـمـسةٍ قـلـبـاً يـحـنُّ إلـيك

لاحظوا عبارات الطبيعة " نجما – والشمس " وهل هناك نوراً ازهى وأجمل منهما. لكن شاعرنا يرى نور فود أميرته يشع أكثر.

وفي قصيدة " من دون حبك " نراه يترجم جنونه بهذه العبارات الرقراقة:

وبأنك الماءُ الذي يهب الحياة

بأنك ... يا حبي المجنون

بلسمُ أدمعي

في كل أوقاتي العصيبة

أنت لي

في الذاريات العاصفاتْ

إن تهجريني ساعةً

أو برهـة

أو لحظة

لن تعلمي.

لا حظوا هنا أيضا كلمات الحب مموسقة بعبارات الطبيعة.

وفي قصيدة " وأصب خمري"

فوجدتُ فيكِ حماسةً وهاجةً... وبدعوةٍ

كي نلتقي

لأصب خمري

بين نهديك

اللذان ترنحا من لثميَ المجنونِ

في وقت الجنون...

وفي قصيدة " آية العشق" وقد اجاد في الوصف والتضمين بآي الكتاب كما في عنوان القصيدة:

إني قرأتُـك آيـةً في مصْحفٍ ... فـتـلوتـُها حتى تقرَّ عيوني

عـيناكِ سـاحرتان في نجواهما ... قـد ذاب قـلـبي فيهما وأنيني

شـفـتـاكِ رسمٌ متـقـنٌ متراقصٌ ... أنـغـامهُ وهـجٌ مع الـتـلحـين

إلى أن يقول وما أحلاه من بيت:

أنـت الـنساء وكـلـهـنَّ أمـيرتي ... وأمـيرتي أنـت الـتي تسْبيني

انظروا كيف اختزل كل النساء في أميرته وهي لا غيرها تغويه.

ومن دوحة الغزل الصارخ نقتـطف هذه الوريقات:

من قصيدة " حدائق الخُلد.."

نـهـداك كأسـي الـذي دوماً أقـبـلـه ... وأحتسيه إذا ما الليل ينتصف

هيا اسكبي من رحيقِ الثغر عسجدَه ... لـعلـه ساكبٌ خمراً ولا ينزف

نــهداك والكـأسُ إن جـنَّ الـظـلامُ ... عـلـينا ســـوف أنـــحـــرف

مـيلي إليَّ بـخـصرٍ يـحـتوي شغفي ... كيْ أرتوي من شـفاهٍ كلها لهف

ومن هذا الباب أيضا من قصيدة " رشفتُ من شفتَيْك "

شـفـتـاكِ مـرسـومـــان مـن أرجٍ ... من العـبـير من الـريحان تـُمْـتـطَـر

رشفتُ من شفتيكِ الخمْرَ وابتردتْ ... آهاتُ قلبي.. ومن آهاتِك اسْتعـروا

ومـنـهـما كان عـشقاً فـيك يُرقصُكِ ... يـهـز ردفـيـكِ والألـحـان تـفـتـخـر

ونختم هذه الفقرة بهذه الأبيات من قصيدة " رحيقُهما الخمر.. "

ومن شـفـتـيكِ رحـيـقُ حـيـاتي ... وثـغـرُك قـبـرٌ لـوقـتِ وفـاتي

رحـــيـــقـــاً سأرشـــفُـــهُ كـــلَّـــما ... عـطـشتُ لأروي غـلـيل مواتي

وصــدْرُك واحــةُ حــبٍ بــهــا ... ورودٌ سـأقـطـفُ منها هِـباتي

ونــهــداكِ لـحـدي إذا ما حـييتُ ... وبـيـنـهـما ستـكـونُ صـلاتي

وما استعارة القبر واللحد هنا إلا ليدلل على ذوبانه في أميرته المدللة.

المحور الثاني: الحب التتري:

لفتت انتباهي هذه القصيدة " أقرأ فيك.. " روي القصيدة وحسن "قافيتها"، سلاستها، بساطتها ورجعتني بذاكرتي إلى القصيدة التترية لابن منير الطرابلسي في غلام له اسمه تتر قد ارسله إلى الشريف الرضي فحبسه عنده، وهذه بعض أبياتها:

عـذبت طـــرفي بالسهـــر ... وأذبـــت قلبـــي بالفـــكـر

ومـزجـــت صفـــو مودتي ... من بعـــد بعـــدك بالـكدر

ومنحـــت جثـماني الضنى ... وكحلت جـفـــني بالسـهـر

لئـــن الـشـريف الموسـوي ... ابـــن الـشـريف أبي مـضـر

أبـــدى الجـــحود ولـم يرد ... إلـــي مـملـــوكـــي تـــتـــر

أما تترية أميرة شاعرنا فهي من " أقرأ فيك..":

أميرةُ أنـت الحـياة الـتي ... تُـراقص قـلبيَ وقـتَ الضـجـر

وتـمحو الهـمومَ وأثـقاله ... وتـجلو من الـنفس كلَّ الـكـدر

وتعزف كلَّ اللحون التي ... تُدلل في الحسن حُسن الصور

وترمقني بلـحاظ الهوى ... وتـسْـطو بقـلـبٍ رقـيـقٍ أغـرْ

فـؤادُ أمـيرةُ لي مـسكـناً ... وسُكـنى أمـيـرةُ عـيـنٌ تـُـقـر

أضـمكِ قـلباً وألثم فاك ... وأقـرأ فـيك جـمـيلَ الـسـور

- المحور الثالث: الحب في اسلوب جديد في قصيدة " الفاتنة ":

لم يسبق لي أن رأيت هذا الأسلوب من الغزل إلا في كتاب مخطوط للعلامة الشيخ باقر بوخمسين وجاري تحقيقه للطباعة وهو بعنوان " نظرات في الكتب والصحف " في

خاطرة وعنوانها " إليها " بحيث أن يأتي بوصف لمحبوبته ومن ثم يستوحي أبيات شعر من ذلك الوصف. ولئن صادف أن يكون شاعرنا قد جرى على ما جرى عليه علامتنا الشيخ باقر وذلك لأنه يغترف من نفس الفكر والينبوع، فدعونا نذكر نموذجا من القصيدتين:

" إليها ":

"إلى التي ألهمتني فخلقت منّي نفسًا تُغَرِّدُ مع البلبل عند الصباح، وتطرب للجدول في هديره، إلى التي لا أعرف الوجود والسعادة إلاّ في عينيها.

غَرَّدَ البُلبُلُ فوق الغصن طربًا، ونشر جناحيه سرورًا فها هو وادعٌ يعبر من غصن إلى غصن، وينتقل بين الفُلِّ والياسمين وادعًا مطمئنًا، وذي طيور الحقل وشحارير الرُّبى تردّد لحنه الجميل.

فمن لحنك الجميل أنشديني وإذا ما غبت عنك فاذكريني

والجدير بالذكر أني اوردت هذه المقطوعة كاملة في كتاب العلامة الهجري الذي سيطبع قريبا.

أما شاعرنا الجميل عبدالله بوخمسين فقال في " الفاتنة ":

لما مررتُ على تلك الفاتنةِ الممشوقةِ القوام وهي واقفةٌ على شاطىء البحر ذي المياه الصافية بأمواجه الموسيقية الهادئة، شدَّني جمالها الملتهبُ كموقد جمْر، كانت واقفة بغنج ودلال..

وإنـما أنـت الجمالُ الـذي ... به تـغـنى الشاعـر الأعـذبُ

وعازفُ الـنايِ على ربـوةِ ... وقاطـفُ الكـرمة والُـمطرب

وفي بعض مقاطعها:

ما تزال تلك الفاتنةُ على شاطئ البحر الهادئ، إذْ كان النسيم عليلا رائقاً يُداعبُ خصلات شعرها الأسود المتدلي على كتفيها، كانت سارحة حينما كانت ترمق البحر، ربما تذكرتْ عشيقها... ربما تغازل البحر ولا أظن أن البحر هو من يغازلها... أثناء تلصصي عليها قلتُ:

والشَّـعـرُ نـجمٌ بلا لـيلٍ ولا قـمر ... سـوادُهُ أَلْـيَـلٌ والعـين تكْـتـحل

عُيونك النـُّجْل ترميني أشعتُها ... تسْطو بقلبي الذي منها سيشْتعل

المحور الرابع: الحب الرثائي:

إن شاعرنا المرهف الأحاسيس لا ينسى صحبة الرفاق، أو رموز المجتمع، فما إن فارق أحدهم الحياة إلا وجاشت عواطفه بأحرِ الآهات ولوعة الفراق:

وله في قصيدة " ويراعٌ يشدو " في شيخ المؤرخين " الحاج جواد بن حسين الرمضان":

أيها الموتُ رفقاً فإن الموت ... يغفو في حالة النسْيان

أنسيتْ الحياةَ التي تنبضُ منه ... وهو كالطود شامخ البُنيان

فمدادُ اليراعِ ما جفَّ منْه ... لا ولا دمعُ حبره الهتَّان

كرمٌ والسخاء صنوُ جوادٍ ... ما لغير الجواد في الجود ثاني

ومن قصيدة رثائية أخرى بعنوان " تذكَّرتُ وجهاً " في رثاء عزيزٍ وصديقٍ له وهو الأستاذ محمد جواد البخيتان:

تذكرتُ وجهاً صبوحاً

يلوحُ بريقاً

ونوراً بهياً

ويُرسلُ نورَ الحياة

تذكرت جلسة بين النخيلِ

شباباً وشيباً

ونحن نقُصُّ الأقاصيصْ

كأنا.. سنعْرف سرَّ الوجود

وكنه الإله

محمد جواد

أ أبكي عليْك ... فلا لنْ يكون البكاءْ

ولا لنْ تسحَّ الدموع

لأني

سأوقد تـلْـك الشموع

ثلاثون شمعة.

- المحور الخامس الحب والوطنية:

لا ينسى شاعرنا حبه للأوطان فالعروبة تجري في دمه، فقديما قال الشاعر:

بلادُ الـعُـربِ أوطاني ... من الشَّــام لبـغـدان

ومن نجدٍ إلى يمنٍ ... إلى مِـصـرً فـتـطوانِ

وأما شاعرنا المحب لأوطانه فقال في قصيدته " منْ ماء دجله ":

منْ ماء دجلة قد سكرتُ بأدمعي ... ومـزجـتُــها ماء الفراتِ المـمرع

أوقـدتـُه ناراً ليَـغـْـلـي مــثــلــما ... روحي وقلبي والفؤادُ ومضجعي

إنَّ الــعـراقَ يـنـوحُ بـعـد ثـُمالةٍ ... قد أسْعرتـني حين كُـنت بمهجعي

إلى أن يقول:

لم الــعـراقُ كـلـيـلـةٌ تـجـتـرُّ ... أحـقـادَ الطـغـاةِ ووقـدةَ المتـلوّع

آه عليك يا عـراق وإلى متى؟ ... لا تـصرخـين لجـائـرٍ مُـتـقــذِّع

ما ذا أقـولْ.. أحُـبُّـك..نـعـمٌ ... قلـبي يُـحـبك والعـيـون الهــمَّع

إن التجوال في هذه الدوحة الشعرية جميلة وشيقة وهناك الكثير من الجمال حينما تتنقل بين اشجار قصائدها، وقد يقيض لها شخصا آخر يستخرج الكثير من لآلِـئـها التي تتكون من " 53 " قصيدة.

فتى الأحساء

ابراهيم سلمان بوخمسين